مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 24 العدد: 4 السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2021 ص 313 - 328

بلاغة الحجاج في النصّ الخطابيّ عند محمّد العمريّ

The rethoric of l'argumentation in the oratorical texte at Muhammad Al-Omari

أ-غالم عبد الصّمد*

تاريخ الاستلام: 02- 09- 2018 تاريخ القبــول: 06- 10- 2019

التعريف الرقمي للمقال: doi 10.33705/0114-023-004-015

ملخّص: عرفت النّظريّة الحجاجيّة تطوّرا هامّاً بفضل البلاغة الأرسطيّة من خلال الاهتمام بتقنيات الخطاب الإقناعي، غيرأن هذا الوضع لم يدم طويلا، إذ هيمن الجانب الأسلوبي على البحث البلاغي لقرون طويلة. ومع تبدل الأحوال والظّروف في العصر الحديث عادت بلاغة الحجاج من جديد على يد مجموعة من البلاغيين أهمّهم برلمان وديكرو.

ولم يكن البلاغيون العرب بمعزل عن هذا التّحول المنهجي، فظهر عندهم وعي بضرورة استثمار بلاغة الحجاج في تحليل الخطابات، ويعدّ الباحث المغربي المعاصر محمّد العمري من أهم هؤلاء الدّارسين الذين ساروا وفق هذا المنظور لذلك سعينا في هذا المقال الكشف عن ملامح مقاربته للنص الخطابي.

كلمات مفتاحيّة: حجاج؛ خَطابة؛ خطاب؛ تحليل الخطاب.

* جامعة سيدي بلعباس الجزائر، البريد الإلكتروني: Pr.abdessamed@yahoo.fr (المؤلّف المرسل)

Abstract: The theory of l'argumentation knows a significant developement by virtue of the rhetoric of Arisstote through the interest in technicalities of the persuasive speech.

The rhetorical Arabic is not apart about this methodical change, but noon at them be interested what in investment rhetoric of the argumentation in analysis of the discourse.

The Moroccan contemporary researcher Muhammad Al-Omari considers from more important thes studier who the new rhetoric adopted text .

Keywords: argumentation ; oratory ; discourse ; analysis of discourse.

1-مقدّمة: عرفت بلاغة الحجاج في العصر الرّاهن تطوّرا لا مثيل له واستطاعت أن تفرض نفسها كنظريّة في النّص تنافس غيرها من النّظريات والمناهج النّقديّة ، ولم يقتصر هذا التّحول المنهجي على الفكر الغربي فقط بل امتدّ ليشمل البحث البلاغي العربي المعاصر، فاستُثمِر منجز النّظريّة الحجاجيّة في تحليل نصوص تنتمي إلى أنواع خِطابيّة مختلفة كالنّادرة أو الرّسالة أو الوصيّة أو الشّعر أو الخَطابة .

يعتبر الباحث الأكاديمي المغربي "محمّد العمري" من أهم البلاغيين العرب الذين انشغلوا بهذه البلاغة الجديدة، ويتضح تأثره بهذا التّوجه المنهجي من خلال سعيه لاستثمار مقولات بلاغة الحجاج في تحليل الخطاب، وكان النّص الخطابي من أهم تلك الخطابات، ولذلك ستسعى هذه الدّراسة للوقوف على ذلك.

2-مفهوم الحجاج: ارتبط الحجاج في المعاجم العربيّة القديمة بالظّفر عند الخصومة، فجاء في لسان العرب قول ابن منظور "حاجَجته أحاجُّه حجَاجا ومحاجَّة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والحجّة البرهان، وقيل الحجّة ما دوفع به الخصم"[1].

وأمّا في الإصطلاح، فيعرفه برلمان (Perman) وتيتيكاه (Tyteca) بأنّه العلم الذي موضوعه " تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذّهن إلى التّسليم بما يعرض عليه من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التّسليم، أو محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار، أو يزيد في ذلك إلى درجة تبعث على العمل المطلوب". [2]

وهكذا تسعى النّظريّة الحجاجيّة إلى تحليل التّقنيات التي تسهم في إقناع المتلقي سواء أكانت تلك التّقنيات لغويّة أم منطقيّة أم معتمدة على الواقع.

وتجدر الإشارة إلى المحاولات الهامّة التي قام بها ديكرو وأنسكومبر لتوسيع نظريّة الحجاج، فصار يمتد لكل خطاب طبيعي يستعمل اللغة الطّبيعيّة ومع هذا التّحول المنهجي صار الحجاج مكونا من مكونات البنيّة الدّاخليّة للغة، فإذا " كان الاستدلال العقلي مرتبطا بالمنطق وقوامه ترابط القضايا فإن الحجاج مجاله الخطاب نفسه ". [3]

ويتحقّق هذا الحجاج من خلال روابط وعوامل حجاجيّة مبثوثة في الكلام فضلا عن تراتبيّة في ايراد الحجج يطلق عليها مصطلح السّلم الحجاجي.

لقد اتسم الحجاج بخمسة ملامح، حدّدها أوليفي روبول فيما يلي: [4]

-يتوجّه إلى مستمع؛

-يعبر عنه بلغة طبيعيّة؛

-مسلماته لا تعدّو أن تكون احتماليّة ؛

-لا يفتقر تقدّمه (تناميه) إلى ضرورة منطقيّة بمعنى الكلمة؛

-ليست نتائجه (خلاصاته) ملزمة.

إنّ البحوث الحجاجيّة في الفكر الغربي الحديث ارتبطت بصورة واضحة في موضوعها وإجراءاتها ببلاغة أرسطو التي عدّت النّواة الأولى لتأسيس بلاغة الإقناع، وارتبطت هذه البلاغة اليونانيّة منذ النّشأة بالخطابة التي صارت قائمة على ثلاثة أقسام: [5]

-البصر بالحجّة وفي مصطلح أرسطو Eurisis، والمراد بها التّقاط المناسبة بين الحجّة وسياق الاحتجاج ؛

-ترتيب الأقسام(Taxis): والمقصود به ترتيب الحجج ووضعها في المكان المناسب ليزيدها ذلك قوّة؛

-العبارة Lexis: وتعتمد هذه المرحلة على اختيار الألفاظ المناسبة لإخراج ما كان في الذّهن إلى الوجود.

وإذا عرجنا إلى نشأة الحجاج في الفكر العربي فإنّنا نجد لهذا المفهوم إرهاصات أوّليّة هامّة في البحث البلاغي القديم، فالجاحظ مثلا يعدّ المؤسّس الأوّل لبلاغة الإقناع من خلال اهتمامه بالخطاب الشّفوي وإستراتيجيته الحجاجيّة في التّأثير على السّامعين.

ومن الجهود النّاضجة أيضا التي اتصلت بالحجاج جهود حازم القرطاجني (ت 684 هـ) الذي وسّع من مجال اشتغاله ليشمل الخطاب الشّعريّ فالشّعر والخطابة يشتركان " في إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النّفوس يمحل القبول لتتأثر بقتضاه .... فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه وللخطيب أن ينظم لكن في الأقل من كلامه "[6] وعليه يمكن القول إنّ الخطاب التّخييلي لا يخلو من أبعاد حجاجيّة، وهكذا وجد حازم " سر البلاغة في النّسق الذي يفاعل التّخييل والتّصديق، الشّعر والخطابة، ولم يبق أمامه لكي ينخرط في آخر صيغ الحوار الذي يشغلنا الآن، في القرنين 20 و21، سوى أن يقترح الاسم الذي يدل على القصيدة والخطبة في آن."[7] والمقصود هنا مصطلح البلاغة العامّة التي تتسع لكل الخطابات الإنسانيّة .

وتبلورت الجهود العربيّة الحديثة والمعاصرة في نظريّة الحجاج على يد جملة من الباحثين، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: طه عبد الرّحمن الذي عرف عنه اشتغاله الفلسفي، ومحمّد العمري الذي اهتمّ بالخطاب الإقناعي تنظيرا وممارسة ومحمّد مشبال الذي حاول استثمار منجز النّظريّة الحجاجيّة في مجال تحليل الخطاب.

3-بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب: تعتبر البلاغة أقدم علم اهتم بالخطاب ولم يكن ذلك الاهتمام منصبا على الوظيفة الجماليّة فقط بل انصبّ أيضا على المكون الحجاجي للخطاب فالأعمال النّقديّة لأرسطو على سبيل المثال تظهر وعيا مبكرا بالبعدين التّخييلي والإقناعي للخطابات من خلال دراسته للشعر من جهة والخطابة من جهة أخرى.

ولكنّ هذا التّوجه الرّحب للبلاغة سرعان ما عرف انحصارا ملفتا، فهيمنت بلاغة الأسلوب على البحث البلاغي والنّقدي، غير أنّ خطابات العصر الرّاهن وتبدل الأحوال والظّروف "سمح بعودة الخطابيّة من جديد، وفي ثوب قشيب، بعدما بدأ البحث في البعد الحواري الإقناعي الاحتمالي للخطاب. وكان من المساهمين الكبار في هذا التّوجه شايم بيرلمان (Chaim Perelman) "[8] فهذا البلاغي استطاع أن يحيي بلاغة الحجاج من جديد، فوسّع من مجال اشتغالها لتشمل كل خطاب احتمالي مؤثر سواء تعلق بجمهور خاص أم جمهور كوني، وسعى برلمان من خلال عمله الأكاديمي في بلاغة الخطاب الإقناعي لضبط تقنيات الحجاج ومنطلقاته، ورغم استلهامه للخطابيّة الأرسطيّة إلاّ أنّه " أجرى عليها التّعدّيلات الضّروريّة حسب ما يتطلّبه التّوجه المنطقي الذي يشتغل في إطاره "[9].

إنّ هذه النّظريّة فتحت أمام تحليل الخطاب آفاقا واسعة، وانطلقت من اعتبار " كل خطاب خارج العلوم الحقّة يتضمن بالضّرورة حجاجا، الفرق يكمن فقط في درجة حجاجيته. فدرجة الحجاجيّة في خطاب أدبي قد تقلّ مقارنة بخطاب سياسي أو ديني أو إشهاري مثلا، لكنّ هذا لا يعني أنّ الخطاب الأدبي خال من الحجاج. "[10]

لقد صار للنظريّة الحجاجيّة اليوم جهاز مفاهيمي رحب، ممّا جعل هذه النّظريّة جديرة بأن تكون منهجا للتحليل النّصيّ مثل باقي المناهج التي عرفها النّقد الأدبي المعاصر وتعدّ روث أموسي (Ruth Amossy) من أهم البلاغيين المعاصرين الذين ربطوا بلاغة الحجاج بحقل تحليل الخطاب، ويمكن حصر المرتكزات التي اعتمدت عليها هذه الباحثة في تحليلها البلاغي الحجاجي للنصوص في المنطلقات التّاليّة:[11]

- تحليل الوسائل اللفظيّة والوجوه الأسلوبيّة التي تسهم في بناء حجاجيّة النّصّ؛
- تحليل التّقنيات الحجاجيّة التي اعتمد عليها الخطاب؛
- مراعاة الأطر النّوعيّة للخطاب، فالدّعوى وصور الخطيب والحجج ترتبط بنوع الخطاب الذي تندرج فيه؛
- ينصهر الحجاج في حوار بين الخطابات، فقد يعمل على تأكيدها أو نقضها؛

- استعادة قطبي البلاغة القديمة: بناء صورة المتكلّم في الخطاب (الايتوس) والبناء الخطابي للأهواء التي يثيرها الخطاب في المخاطَب.

ويمكن القول إنّ التّحولات المعرفيّة الجديدة وانفجار وسائل الإعلام والاتصال الحديثة جعل الخطابات الأدبيّة وغير الأدبيّة قائمة على البعد التّداولي النّفعي، ممّا جعل التّحليل البلاغي الحجاجي التّحليل الأمثل لكشف مغاليق هذه النّصوص وأسهمت البلاغة الأرسطيّة وامتداداتها اللاتينيّة والحديثة من تحقيق هذا الفتح المنهجي في قراءة مختلف الخطابات، وظلّت بلاغة الحجاج منفتحة على الحقول العلميّة الأخرى لتستفيد من نظرياتها وأدواتها المنهجيّة التي تعين على فهم مقصديّة النّصوص.

4-ملامح المشروع البلاغي لمحمّد العمري: يعدّ محمّد العمري من رواد البحث البلاغي في السّاحة النّقديّة المعاصرة ويمتاز عمله بالمزاوجة بين التّنظير والممارسة التّطبيقيّة، لذلك اعتبر من رواد الفكر البلاغي في الفكر البلاغي المغاربيّ ونقصد بالفكر البلاغي " مجموع الآراء والتّصورات ووجهات النّظر المتعلّقة بالظّاهرة البلاغيّة واستخداماتها في مختلف المجالات. ويطمح هذا الفكر إلى الوقوف على الظّاهرة البلاغيّة وتحديد عناصرها وبيان الأسس التي تقوم عليها " [12]

رفض محمّد العمري إنكار وجود إرهاصات أوليّة للنظريّة الحجاجيّة في البلاغة العربيّة القديمة، ففي كتابه الموسوم بـ " البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها " الصّادر سنة 1999، حاول جاهدا إعادة الاعتبار للبعد التّداولي الحجاجي مستثمرا نظريّة البيان عند الجاحظ ومشروع حازم القرطاجني الذي دعا مبكرا لقيام بلاغة عامّة تستوعب الأجناس الأدبيّة المختلفة.

اعتبر العمري أنّ الخَطابيّة (Rhétorique)علم يشتغل على الخطابة والشّعريّة (Poétoque) علم يهتم بالشّعر بمعناه العام، ثم اقترح التّأسيس لبلاغة عامّة تجمع بين الخطابين: التّخييلي والتّداولي، وهكذا صارت البلاغة تتناول " كل خطاب يقتضي- أثرا وتفاعلا بين متخاطبين فعليين (قائمين) أو مفترضين (متوقعين) درجات من التّوقع قد تقترب من الصّفر. وهذا الأثر لا يعدّو أن يكون طلبا للتصديق (أو التّسليم بدعوى أو أطروحة) أو طلبا للتخييل والتّوهيم. ومعنى ذلك استيعاب الخطاب التّداولي

الحجاجي كلّه ... وكل صور التّعبير الأدبي بالمعنى الحصري للأدبيّة بما فيها الشّعر والسّرد وما تفرّع عنهما ". [13]

إنّ هذه المنطلقات المنهجيّة جعلته يسائل النّصوص التّراثيّة والرّاهنة وفق أفق جديد يسعى لضبط مقصديّة الخطاب، وتتضح ملامح هذه المقاربة من خلال قراءته للخطابة العربيّة القديمة والمعاصرة.

4-1-التّحليل الحجاجي للنص الخطابي القديم: لم يكتف محمّد العمري في أبحاثه بالتّنظير فقط، بل سعى لتطبيق ما تبناه من مفاهيم حجاجيّة على أنواع الخطاب المختلفة، وكانت نصوص الخطابة العربيّة من أهم تلك النّصوص.

ومن أجل الوقوف على ذلك، سنتوقف أوّلا عند مقاربته لنصوص الخطابة العربيّة القديمة التي اشتغل عليها في كتابه " في بلاغة الخطاب الإقناعي ".

تأثر الأستاذ العمري بأرسطو في التّحليل الحجاجي للمدونة التّراثيّة، فحصر مكوّنات الخطابة في ثلاثة عناصر: [14]

- وسائل الإقناع أو البراهين؛
- الأسلوب أو البناء اللغوي؛
- ترتيب أجزاء القول.

ثم دعا إلى عدم إهمال عنصر الإلقاء في هذا التّقسيم، لأنّ الخطابة النّاجحة قائمة على الصّوت والحركة.

كان للمقام حضورا لافتا في تقسيماته، فقسم الخطابة الدّينيّة إلى خطابة تعليميّة تركز على تلقين المعرفة، وخطابة وعظيّة تركز على تنبيه الغافلين وخطابة حجاجيّة تعتمد على البرهنة والمحاججة. هذا التّقسيم الثلاثي سيحل محلّه تقسيم ثنائي في الخطابة السّياسيّة (مقام الحوار بين الأنداد أو الحوار بين الرّاعي ورعيته). تم تقسيم ثنائي آخر يختصّ بالخطابة الاجتماعيّة وشؤون الحياة، فشطرها إلى صنفين هما: [15]

– خطب في موضوعات اجتماعيّة تتناول العلاقة بين النّاس وتنظيم المجتمع مثل خطب الإملاك، والصّلح والمخاصمات القضائيّة وهي في أغلبها ذات طبيعة موضوعيّة؛

– وخطب ذات طبيعة وجدانيّة هدفها المشاركة والإشراك في المسرات والأحزان كالتّعزيّة والتّهنئة ووصف المشاهد والبلاد.

اهتم محمّد العمري بآليات الحجاج وصوره في المتن الخطابي، ولعلّ من أهمّها:

–القياس الخطابي: ويختلف عن القياس المنطقي باعتماده على الإحتمال والتّرجيح وعلى الخروج عن صرامة الاستدلال، ومثّل محمّد العمري لوجوده في الخطابة العربيّة القديمة بمجموعة من النّماذج نذكر منها ما ورد في خطبة الحجاج " يا أهل العراق بلغني أنّكم تروون عن نبيكم أنّه قال: من ملك على عشر رقاب من المسلمين جيء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، حتى يفكه العدل، أو يوبقه الجور. وأيم الله إني لأحبّ إلي أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولا، من أن أحشر معكم مطلقا ". [16]

وتخريج القياس المضمر الوارد في هذه الخطبة كالتّالي:

–الخليفتان أبو بكر الصّديق وعمر بن الخطاب وليّا على أمور المسلمين؛

–لم يوبق الحكم هذين الرّجلين؛

–إذنّ الحكم لا يوبق أحدا.

ويمكن التّمثيل لهذا النّمط من القياس بمثال آخر وارد في خطبة الحسين في أصحابه في كربلاء:

" يا أيّها النّاس أنّ رسول الله (ﷺ) قال:

من رأى سلطانا جائرا مستحلّا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله (ﷺ) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل أو قول، كان حقاً على الله أن يُدخله مُدخله. " [17]

وتخريج هذا القياس:

–من رأى سلطانا جائرا ولم يغير ما عليه بقول أو فعل ناله العقاب؛

-بنو أميّة كانوا من الظّالمين الذين أكثروا الإثم والعدوان؛

- يجب تغيير منكر بني أمّيّة.

- **المَثَل**: ويعتبر حجّة قائمة على المماثلة والمشابهة، والواقع أن المثل " يعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحقّقه من إقناع وتأثير، وإذا أخذناه بمعناه الواسع الذي يشمل التّشبيه والاستعارة ... صار أهم دعائم هذه البلاغة." [18]

وبعد أن نظر محمّد العمري لهذه الآليّة الحجاجيّة، سعى جاهدا لإثبات وظيفتها الحجاجيّة في المتن الخطابي العربي القديم، فمثّل لذلك بالمثل التّاريخي الوارد في خطبة الحجاج بعد قتله ابن الزّبير في الحرم واستغراب النّاس ذلك. جاء في جمهرة العرب " ألا إنّ ابن الزّبير كان من أحبار هذه الأمّة حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها، وخلع طاعة الله واستكنّ بحرم الله. ولو كان شيء مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنّة. لأنّ الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأباحه جنّته، فلمّا عصاه أخرجه منها بخطيئته. وآدم على الله أكرم من ابن الزّبير، والجنّة أعظم حرمة من الكعبة " [19] فالمتكلّم في هذه الخطبة وجد في المثل التّاريخي (قصّة آدم وخروجه من الجنّة) فرصة للخروج من الوضعيّة المحرجة التي وقع فيها ورغم أنّ هذا المثل يتسم بالمغالطة إلا أنّ الخطيب حاول أن يستثمر طاقته الإقناعيّة للتأثير على السّامعين.

- **الشّاهد**: وهو ما أطلق عليه أرسطو بالحجّة الجاهزة أو غير الصّناعيّة ويرى العمري أنّ هذا النّوع من صور الحجاج يرد في الخطابة العربيّة من خلال الإقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة، وتضمين الحكم والأمثال والأبيات الشّعريّة. ومن النّماذج الخطابيّة التي توضح القوة الحجاجيّة للشاهد القرآني قول مصعب بن الزّبير "بسم الله الرّحمن الرّحيم، طسم، تلك آيات الكتاب نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون لقوم يؤمنون، أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، أنّه كان من المفسدين (وأشار بيده نحو الشّام).

ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين (وأشار نحو الحجاز). ونمكّن لهم في الأرض ونريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا

يحذرون (وأشار بيده نحو بغداد) "[20] فهذا الخطيب جعل من الآيات القرآنيّة المادة الأساسيّة لخطبته للتأثير في المستمعين.

4-2-الحجاج المغالط في النّص الخطابي الحديث: المغالطة نوع من الحجاج لكنّه يستند إلى " استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو كأنّه صحيح لأنّه مقنع سيكولوجيا "[21].

ويفرّق محمّد العمري بين نوعين من هذا التّهافت الحجاجي " تهافت الغلط لضعف الحس النّقدي، وتهافت مع نيّة التّضليل، ندعو الأوّل غلطا والثاني مغالطة " [22].

لا يزال مبحث المغالطات يثير اهتمام الكثير من الباحثين حتى عصرنا الرّاهن لأنّ انتشار المغالطات في مختلف الخطابات اليوميّة " حقيق بأن يردّ إلى نظريّة المغالطات أهمّيتها الأولى، ويعيدها إلى الصّدارة من جديد ... كما أنّ كشف المغالطة وتسميّتها وتحليلها من شأنه أن يقصي-الحجّة الباطلة من ساحة الجدل إقصاءً نهائيا ولا يكتفي بإضعافها أو تحجيمها "[23].

اهتمّ محمّد العمري بالمغالطة في الخطاب الاحتمالي، واعتبر أنّها مرتبطة بنيّة التّوهيم والخديعة والإعنات الفج، ولذلك اعتبرت مظهرا من مظاهر العنف الخطابي وأمام هذا الوضع اهتمت البلاغة العامة بكل هذه الإنزلاقات التي يلجأ إليها في الخطاب المؤثّر.

يرى محمّد العمري أنّ الخطاب المغالط ينطوي على استخفاف بالمتلقين "ولذلك فإنّ أقوى الرّدود عليه ما واجه استخفافا باستخفاف، أي ما بني على السّخريّة. فبدل رد فعل منفعل - قد يكون المغالط في انتظاره -يقوم الرّد السّاخر على إرخاء العنان ومد الحبل حتى تفتضح المغالطة أمام نفسها وتشمئز من مظهرها ومخبرها ". [24]

لم يقتصر اهتمام محمّد العمري بالحجاج المغالط على النّصوص التّراثيّة فقط بل امتدّ ليشمل الخطابات المعاصرة، وكان من ثمرات ذلك مجموعة من الدّراسات منها: دائرة الحوار ومزالق العنف، ومنطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين، وعوائق الحوار مع الأصوليين، ويمكن أن نرجع اهتمامه بنقد الخطاب المغالط لاقتناعه بأنّ "التّنظير لبلاغة / خطابيّة عربيّة حديثة لن يكون مثمرا دون محاورة التّاريخ، من جهة، والتّطبيق على الواقع، من جهة أخرى" [25].

والحقيقة أنّ معظم مؤلّفات العمري في هذا المجال ركزت على الخطابة السّياسيّة وحاولت البحث عن الحجج التي يتكىء عليها هذا النّوع من الخطاب، وسعت لكشف جوانب الاختلال فيه وفضح المغالطات التي ترد في حديث بعض السّياسيين اللذين يهدفون إلى تحقيق مصالحهم ومنافعهم الآنيّة.

حلّل محمّد العمري الخطابة السّياسيّة التي انتشرت في العصر الرّاهن، وركّز على كشف الإيهام المعتمد من طرف بعض الخطباء السّياسيين، واختار ما أثير حول مشروع الخطّة الوطنيّة لإدماج المرأة في المغرب، فضلا عن المقالات المعنونة بـ "الحقيقة أوّلا" لعبد اللطيف جبرو أنموذجا، وحصر صور المغالطة في هذا المتن الخطابي في ما يلي:

الاستدراج بالصّورة والكلمة: اعتبر محمّد العمري أنّ اللجوء إلى هذه التّقنيّة الحجاجيّة يهدف إلى " تمرير معنى أو رسالة لا تجد طريقا معبدا لسبب من الأسباب كما يقع في الإشهار"[26].

أنّ النّصوص والصّور التي ترد مصاحبة للخطاب المغالط تسعى لتوجيه القارىء نحو الهدف المحدّد سلفا، يُتوخى منه التّعويض عن الخلل الحُجي الذي يمكن أن يقع من خلال عرض الوقائع غير المسعفة.

آليّة الإنزلاق: وهي آليّة يحاول فيها السّفسطائي " أن يوهم بأنّ الأمر واحد، أو أنّ ما يصدّق على هذا يصدّق على ذاك، أو يجر المتلقي من قضيّة إلى أخرى وكأنّها هي نفسها لتأخذ حكمها وتستفيد من حجيتها " [27]. ويعتبر محمّد العمري أنّ الخطيب السّياسي قد يتوسّل بهذه التّقنيّة الحجاجيّة لتمرير أفكاره وآرائه.

اللبس والتّدليس: وله عدّة أشكال خطابيّة منها إطلاق عبارات مثيرة وإخراجها من سياقها الذي وردت فيه لتضليل المتلقي، وقد ترد هذه الآليّة الحجاجيّة التّضليليّة معضودة بالصّور، ونجد ذلك غالبا في بعض المقالات الصّحفيّة السّياسيّة التي تُغلّب المصلحة الشّخصيّة على المصالح الأخرى، ويمثّل محمّد العمري لهذه الإستراتيجيّة بما ورد في مقالات عبد الله جبرو.

التّهويل والتّقويل: يؤكّد محمّد العمري أنّ هاتين الآليتين خصمان للبحث عن الحقيقة " ينطويان إمّا على سوء النّيّة، أو على سوء التّقدير (لأنّ التّهويل زيادة على العدل) وانحراف الفهم (لأنّ التّقويل سوء فهم). أو عليهما معا. أي أن يكون القصد إلى الإساءة "[28].

تهافت الاستنتاجات والأحكام: ويكون ذلك باستعمال قياس فاسد، والاحتكام على هذا المسار الاستدلالي التّضليلي في إطلاق نتائج نهائيّة، ولذلك يندرج هذا النّشاط الحجاجي ضمن الحجاج المغالط، واعتبر "محمّد العمري" أنّ النّص الخطابيّ السّياسيّ قد يتوسل بهذه الآليّة التّمويهيّة في مواجهة الخصوم.

5-خاتمة: من خلال ما سبق يتّضح أنّ المشروع البلاغي لمحمّد العمري قائم على استثمار بلاغة الحجاج في تحليل الخطابات، وهذا ما تجسّد فعليا في مقاربة النّصّ الخطابي القديم والحديث، ورغم تأثر محمّد العمري بالنّظريّة الأرسطيّة إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من إغناء تلك النّظريّة باجتهاداته الثريّة في مجال الخطاب الإقناعي.

توصّلنا من خلال هذا البحث إلى نتائج أخرى، نوجزها في ما يلي:

-كانت الخَطابة منذ القدم مركز البحث في بلاغة الحجاج، وهذا ما نجده ماثلا في المشروع البلاغي لأرسطو في الفكر الغربي والجاحظ في التّراث العربي القديم؛

-إنّ بلاغة الإقناع لم تكن حكرا على البلاغة الغربيّة فقط، بل شهدت حضورا خصبا في الدّرس البلاغي العربي قديما وحديثا، واستطاع النّقد المغاربي أن يحتل الصّدارة في استثمار المنجز البلاغي، وكان ذلك على يد مجموعة من البلاغيين منهم محمّد العمري الذي حمل مشروع تجديد البلاغة؛

- يمكن استثمار البلاغة الأرسطيّة في قراءة النّص الخطابي العربي، لأنّ النّص الخطابي في كل لغة يتوفّر على مكوّنات إقناعيّة مشتركة؛

-الخَطبة فن حجاجي بامتياز، لذلك تمنح محلل الخطاب إمكانات واسعة لاكتشاف ما تحويه من آليات وتقنيات عديدة ومتنوّعة تندرج ضمن الاستراتيجيّة الإقناعيّة؛

-يعتمد الخطيب في خطابه على آليات لغويّة وبلاغة وتداوليّة للتأثير على المتلقي ودفعه لتغيير أفكاره ومعتقداته وسلوكاته؛

-إنّ اكتشاف حجاجيّة الخطبة يقتضي- تحديد المواقف التّواصليّة وإظهار أنماط التّوافق الضّمني بين الخطيب وبين المتلقين؛

-لا يمكن الوقوف على مقصديّة الخطاب إلّا بربطه بالمقام الحضاري العام والمقامات النّوعيّة الخاصّة؛

- مكن استثمار منجز النّظريّة الحجاجيّة من قراءة الخطابة العربيّة الحديثة والوقوف على غرضها الصّريح والمضمر.

الهوامش:

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مج 02، مادة (ح ج ج)، ص 227.

[2]-عبد الله صولة، الحجاج أطره منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج الخطابة الجديدة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، كليّة الآداب، منوبة، (تونس)، د ت، ص 297.

[3]-عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، دار كنوز المعرفة، (الأردن)، ط1، (2016)، ص179

[4]-ينظر محمّد العمري، البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، أفريقيا الشّرق، ط2، 2012 ص.220.

[5]-ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، دار كنوز المعرفة، ص 64.

[6]-ينظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط3، (1986)، ص 34.

[7]-محمّد العمري، البلاغة العامة في حوار الرّصد والتّنظير من الشّعر إلى الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، منشورات الاختلاف، ط1، (2014)، ص 23.

[8]-سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمّد العمري نحو بلاغة عامة، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، ص 264.

[9]-محمّد العمري، البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، أفريقيا الشّرق، ط2 (2012)، ص 70.

[10]الحسين بنو هاشم، نظريّة الحجاج عند شاييم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ضمن كتاب البلاغة والخطاب ص 153.

[11]-محمّد مشبال، في بلاغة الحجاج، دار كنوز المعرفة، ط1، (2017)، ص 65-66

[12]- محمّد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب مقاربة لمشروع محمّد العمري، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، ص 241.

[13]-محمّد العمري، أسئلة البلاغة في النّظريّة والتّاريخ والقراءة، أفريقيا الشّرق، ط1، (2013) ص 21.

[14]-ينظر: محمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشّرق، ط2، (2002)، ص 20

[15]-محمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 62.

[16]-الجاحظ، البيان، تحقيق السّندوبي، دار الفكر، بيروت، ج 2، ص297.

[17]- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، المكتبة العلميّة، بيروت، ج2، ص 84.

[18]-محمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 85.

[19] -أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج 2، ص 287.

[20] -الجاحظ، البيان والتّبيين، ج2، ص 299-300.

[21] -حافظ إسماعيل علوي ومحمّد اسيداه، الحجاج المغالط، نحو مقاربة لسانيّة وظيفيّة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ثق: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث (الأردن)، ج 3، 2010 ص 272.

[22] - محمّد العمري، دائرة الحوار ومزالق العنف، إفرقيا الشّرق، (2002)، ص 30.

[23] - عادل مصطفى، المغالطات المنطقيّة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، (2007)، ص 18-19.

[24] -محمّد العمري، المغالطة في فضاء الإحتمال، مجلة سياقات اللغة والدّراسات البينيّة، المجلد الثّاني العدد الخامس، (أفريل 2017)، ص 05.

[25] -محمّد العمري، المغالطة في فضاء الاحتمال، ص 03.

[26] -محمّد العمري، دائرة الحوار ومزالق العنف، ص 96.

[27] - محمّد العمري، دائرة الحوار ومزالق العنف، ص 99.

[28] - محمّد العمري، دائرة الحوار ومزالق العنف، ص 107.